



شعراء المغرب
من خلال وثيقة نادرة بخطه

أبو القاسم الشَّابِي

شعراء المغرب من خلال وثيقة نادرة بخطه

تقديم وتحقيق أبو القاسم محمد كرو

هدية من

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود
الباطين للإبداع الشعري



مؤسّسة جائرة عبد العزيز سعُود
الباطين للإبداع الشعري

الطبعة الأولى ، 1994

© جميع الحقوق محفوظة

لدار المغرب العربي - تونس

إهداء وتقدير

عندما علمت من الأستاذ أبو القاسم محمد كرو (عضو مجلس الأمناء وهيئة المعجم) بأن للشابي محاضرة مخطوطة عن شعراء المغرب عامة وشعراء مدينة فاس خاصة. . وأن الشابي كان قد كتبها في يناير عام 1930 ولكنها بقيت مخطوطة ولم تنشر حتى الآن. . . أي أنه مضى عليها أربعة وستون عاماً وهي تنتظر لحظة النشر ومناسبة تاريخية للظهور بين الناس ولتكون بين أيدي جميع القراء. . وخاصة أهل مدينة فاس تحديداً، والمغرب الشقيق عموماً. .

عندما علمت ذلك تبادر إلى ذهني أن تكون هذه المحاضرة (خير هدية) تقدّم إلى أهل مدينة فاس وإلى نخبة المثقفين والأدباء من أبنائها، لا سيما ونحن نحتفل فيها ومع أهلها بدورة أبو القاسم الشابي، وهي الدورة الرابعة لجوائز الإبداع الشعري التي أعتزّ بتأسيسها وانطلاقها منذ عام 1989.

ومما أسعدني أيضاً، بعد الاطلاع عليها، أنها تمثل حلقة تاريخية وأدبية من حلقات التواصل الأدبي والثقافي بين الأقطار العربية، وهو نفس التواصل الذي تعمل مؤسستنا على دعمه وتعميقه بكلّ مشاريعها الأدبية، ومنها:

- أ - جوائز الإبداع في الشعر والنقد.
- ب - معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين.
- ج - دورة أبو القاسم الشابي، التي اخترنا مدينة فاس مكاناً تاريخياً

لانعقادها (أكتوبر 1994)، وهو تاريخ يصادف مرور ستين عاماً على وفاته وأربعة وستين عاماً على كتابة هذا النص الأدبي الفريد للشابي .

وهكذا كتب لهذا النص الشابي المغمور أن لا يرى النور إلا في هذه المناسبات، وأن تكون مدينة فاس - وهذه الدورة المنعقدة بها - هي مناسبة طبعه وتوزيعه (هدية سارة) بين جمهور الأدباء والعلماء المشاركين والحاضرين في هذه الدورة . . وقد قدموا إليها من كل فج عميق من أقطار الأرض العربية وغير العربية .

فإلى جميعهم تحياتي وتقديري الخاص على حضورهم ومشاركتهم . وإلى أخي وصديقي الأستاذ أبو القاسم محمد كرو فائق شكري وثنائي على اكتشافه هذا الأثر النفيس للشابي وعلى جهوده الكبيرة والمتنوعة التي بذلها معنا ومع مجلس الأمناء لتحضير هذه الدورة وخاصة إشرافه المباشر على إعداد جميع المنشورات المتعلقة بالشابي في هذه الدورة التي تحمل اسمه .

عبد العزيز سعود البابطين

رئيس مجلس الأمناء

وراعي المؤسسة

شعراء المغرب الأقصى

«محاضرة بقلم الشابي وبخطه
تنشر لأول مرة»

تحقيق وتعليق
أبو القاسم محمد كرو

تمهيد وتعريف

عرفت الشيخ العلامة عبدالله كنون عام 1962 عندما زرت طنجة للمرة الثانية . . فسعيت إليه في منزله، وكان لقاءنا الأول مفعماً بالود والمكارم التي حُص بها فقيدنا الكبير. وقد أهديت إليه بعض كتيبي . . وتفضل بإهدائي مجموعة هامة من نوادر وبواكير كتبه . . متوجة كلها بإهدائه وأريحيته .

وتواصلت بيننا في العقود اللاحقة المراسلات والكتب . . وكان من تواضعه ومظاهر تعاونه العلمي أن قبل الدعوة في ديسمبر 1972 للمشاركة في الملتقى الثاني لابن منظور الإفريقي الذي كنت من مؤسسيه ومشرفاً على تنظيمه من عام 1971 إلى دورته السابعة وهو مقبل على دورته التاسعة حيث ينعقد مرة كل ثلاث سنوات بمسقط رأسي مدينة قفصة كبرى مدن الجنوب الغربي التونسي .

وآخر مرة حظيت فيها بمصاحبته والاستفادة من علمه وسعة معارفه كانت مؤتمر المجمع بالقاهرة عام 1987 ولم أذهب لمؤتمر 1988 كما أنه لم يحضر مؤتمر 1989 إذ يبدو أن المرض كن قد أثقل عليه . . وكان في عام 87 حيث أقمنا معاً في فندق البرج تظهر عليه بوضوح متاعب الصحة المنهكة . ومن طريف الحديث الذي دار بيننا عامئذ في إحدى جلسات الغداء . . أنه ذكرني بأبياته الثلاث التي كان قد ارتجلها عام 1972 عندما صاحبته إلى مدينة توزر حيث زار ضريح أبي القاسم الشابي

وترحم عليه وأنشد مرتجلاً :

أبا قاسم ها أنا قد أتيت أرد تحيتك العطره
ذكرنا ابن منظور في قفصة وزرتك في توزر تذكره
فإنكما وحياتكما لمغربنا العربي مفخره

إن قوله مخاطباً الشابي : «أرد تحيتك العطرة» إشارة واضحة لما كان الشابي قد كتبه عنه عام 1930 والذي تحدثتُ به إليه في ذلك العام ونحن في طريقنا إلى توزر مسقط ومدفن الشابي . ولم يكن - في تلك الرحلة - نص كلام الشابي عنه في حوزتي وكنت اعترم إطلاعاً عليه في مءتمر فجمعنا لعام 1989 لكنه لم يحضرو ولم أسعد أنا بنشره في حياته، فعسى أن يكون إظهاره اليوم وفي هذه المناسبة الخاصة به وفي هذا الملاء الكريم تحية له وتكريماً وإشادة وتنويهاً⁽¹⁾.

إن أهمية هذا النص أو قل هذه الوثيقة تكمن في كونها صادرة عن الشابي وبخطه، وفي علاقتها المباشرة بعدد من شعراء المغرب الشباب في عام 1930 . . وفي الآراء النقدية التي دونها الشابي عن هؤلاء الشعراء، وكذلك في الظروف والملابسات التي حفت بهذه الوثيقة . . فجعلتها لا تنشر في الصحافة أو في كتاب . . ولا تلقى بين جمهورها المرتقب منذ ستين عاماً . وهي التي كتبت لتلقى محاضرة في موعد محدد .

سنبداً بالظروف والملابسات التي تعود بنا إلى منتصف العشرينات حين أعلن الكاتب والصحفي التونسي المجدد زين العابدين السنوسي عن مشروعه الضخم المتمثل في إعداد ونشر كتاب عن الأدب التونسي وتاريخه وأعلامه منذ العهد البربري والفينيقي إلى العصر الحاضر . وحدد

(1) المناسبة كانت «أيام دراسية» نظمت في طنجة (1990) عقب وفاته بشهور تكريماً له وإشادة بنضاله الوطني وجهوده العلمية الزاخرة .

أجزائه بعشرين مجلداً منها أربعة تتعلق بشعراء عصره.

ولئن بقي المشروع في أبعاده التاريخية حتماً لم يتحقق فإن مجلدين كبيرين قد صدرا عامي 1928/27 عن شعراء تونس الأحياء يومئذ. . وكان بينهم كبيرهم سنأ محمد الشاذلي خزنة دار وأصغرهم سنأ أبو القاسم الشابي ومصطفى خريف. وقد كان الشابي مفخرة الكتاب ومفاجأته الكبرى. . إذ كان - على علو شعره وقوة نبوغه - لم يتجاوز السابعة عشر من عمره.

ويبدو أن كتاب السنوسي قد حرك الهمم وأثار حماسة الأدباء في القطرين الشقيقين: الجزائر والمغرب إذ سرعان ما ظهر في الجزائر كتاب مماثل، وفي جزئين كذلك، أعده ونشره أديب جزائري هو محمد الهادي الزاهري⁽¹⁾.

ولم يتأخر المغرب عن تقديم مساهمته في هذا المشروع الأدبي فعرف بشعرائه وترجم لهم وزكى ذلك بمختارات من أشعارهم فجاء كل ذلك كتاباً من جزئين أيضاً أحدهما - وهو الأول - خاص بشيوخ الشعر، والثاني خصص لشعراء الشباب. . . وكان بين هؤلاء صديقنا وفقيدنا العظيم الشاب عبدالله كنون، ولم يكن بعد قد بلغ العشرين من عمره.

وضع هذا الكتاب - كما هو معلوم - الأديب الأستاذ محمد بن العباس القباج وصدر في عام 1930. وكان مشابهاً في مضمونه ومنهجه كتاب السنوسي التونسي، ولم يختلف عنه إلا في جعل شعراء الشباب في جزء مستقل بينما السنوسي لم يفرق بين شعرائه من حيث الأعمار.

وقد حظي الكتاب فور وصوله إلى تونس باهتمام خاص فكتب عنه

(1) ربما كان كتاب الزاهري أسبق بعام أو بضعة شهور.

وعرف به بعض الأدباء⁽¹⁾. ولكن النادي الأدبي لجمعية قدماء الصادقية، الذي كان الشابي من مؤسسيه وأبرز وأنشط أعضائه قرر عقد جلستين أدبيتين حول الكتاب، على أن يتحدث الشابي في الأولى حول الجزء الثاني أي عن شعراء الشباب، ويتحدث الزين السنوسي في الجلسة الثانية عن الجزء الأول. وهذه الأولوية للحديث عن شعراء الشباب، ليست قراراً من النادي، كما أشرت، بقدر ما هي رغبة من الشابي وزملائه في النادي، الذين كان معظمهم شباباً أتراباً للشابي.

وتم الإعلان في الصحافة عن موعد الحديث عن هؤلاء الشعراء، وأن الشابي سيتحدث أو يحاضر في خصوصهم وخصوص شعرهم. وكان التاريخ لذلك هو يوم الاثنين 13/1/1930 ولكن المفاجأة كانت تنتظر الشابي ومحاضرتة إذ لم يحضر أحد من الناس لسماع المحاضرة؟! وكان معه في القاعة شخصان فقط هما صديقه زين العابدين السنوسي ومصطفى خريف اللذان حضرا بصحبته ولم يسبقاه. وجلس الثلاثة يتحدثون حول قصة أدبية للسنوسي في انتظار الجمهور الذي لم يأت ولن يأتي! والغريب أن الشابي سجل هذا الحدث في مساء اليوم نفسه بمذكراته أو كما يسميها يومياته، دون أن يعلق عليه بشيء؟! غير أنه في يومية الأسبوع الموالي علق بما يفسر المفاجأة ويؤرخ لها. ففي يومية الثالث عشر من الشهر - أي في مساء اليوم نفسه - كتب الشابي ما يلي:

«ذهبت أنا والأخ زين العابدين⁽²⁾ والأخ مصطفى خريف⁽³⁾ مساء اليوم إلى النادي الأدبي لإلقاء محاضرتي عن كتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى» الذي طلب مني النادي الأدبي أن أبسط لهم رأيي فيه.

(1) منهم إبراهيم بورقة في مجلة الصادرات والواردات.

(2) زين العابدين السنوسي أديب مجدد وباعث لعديد الصحف ومشاريع التجديد والنشر بتونس توفي عام 1965.

(3) شاعر كبير من جيل الشابي توفي عام 1967.

ولكننا لم نجد أحداً هناك، فجلسنا...»⁽¹⁾.

والسؤال المثير هنا. لماذا لم يأت جمهور النادي؟. وقد كان يقبل بالعشرات وأحياناً بالمئات على محاضراته وندواته، بما في ذلك محاضرة الشابي نفسه في العام السابق عن «الخيال الشعري عند العرب»؟ وكيف قاطع النادي والمحاضرة رغم الإعلان عنها مسبقاً في الصحافة؟ هل هذه المقاطعة الجماعية موقف أم صدفة؟ وهل هي خاصة بالشابي أم موقف كامل من النادي برمته؟

الجواب يلخصه الشابي نفسه في يومية أخرى كتبها بعد أسبوع واحد أي يوم الاثنين 1930/1/20 حيث سجل ما يلي:

«... اصطحبت الأخ المهدي والأخ خريف بعد أن اعتذر الأخ الزين عن الذهاب معنا إلى النادي الأدبي بتراكم الأعمال عليه.

«ولما وصلنا إليه ألقيناه مغلقاً، مع أن موعد الاجتماع قد مر عليه نحو العشرة دقائق. وبعد أن قرعت الباب قرعاً عنيفاً بدون جدوى، رجعنا وفي أنفسنا حسرة وأسى على المشاريع التونسية المسكينة التي لا تجد من أبناء تونس من يخلص لها حتى النهاية.

«فقد حاولنا في العام المنصرم أن ننظم سيره ببرنامج معين عيناه رغم المعارضة الكبيرة من أنصار الأساليب القديمة، فأنتج نتاجاً حسناً كان فوق ما يؤمل منه. ثم قامت ضجة «الأب سلام»⁽²⁾ إثر مسامرة امرئ القيس التي أنكر فيها الأخ المهدي⁽³⁾ وجود امرئ القيس،

(1) المذكرات ط 1966 ص 51.

(2) هو مبشر مسيحي (من مواليد مصر) استقر سنوات بتونس يعمل في نطاق مؤسسة «الآباء البيض» التبشيرية.

(3) هو محمد الصالح المهدي (1902 - 1969) صديق الشابي ومن دعاة التجديد والإصلاح.

«ومسامرة الخيال الشعري عند العربي» التي جاهرت فيها بآراء لم تسغها أفكار بعض أدعياء الأدب، وعدوها ثورة على الآداب العربية وجحوداً لمزايا العرب. وتطورت هاته الفكرة في نفس الناس، والتفت حولها الأراجيف والإشاعات الكاذبة، حتى عدها بعض الجهلة زندقة وكفراً!⁽¹⁾.

«قامت تلك الضجة حول المسامرات الثلاثة وحول مسامرة «سلام» بالأخص، فاحتبلها بعض المغرضين فرصة لتشويه سمعة النادي ورميه بالزيف والإلحاد إلى آخر تلك السهام التي تعلم المفسدون تسديدها إلى كل عمل راموا إحباطه في البلاد الإسلامية. فكانت تلك الحملات الكبيرة المنظمة قاضية على حركات النادي قضاء ما كنت أتصوره. فقد فتت تلك الحملات في أعداد الأكثرية من أعضائه، ورمت في قلوبهم الرعب والهلع والجبين، فانقطعوا عن المجيء إليه إلا واحداً أو اثنين كانت لهما عزيمة صادقة وشجاعة أدبية تحتقر صيحات الحروب وتهزأ بسهام المغرضين. ولكنهما عرضا عن الذهاب إليه. وما الفائدة منهما وكل أعضائه غائبون؟!

«وهكذا كانت خاتمة العام الماضي محزنة كابية. ثم جاءت السنة الحالية فاقترح الأخ عثمان الكعاك⁽²⁾ أن تكون طريقة النادي إنما هي إثارة المواضيع لدراستها، ومن كانت له دراسة عرضها على النادي لتلقى مسامرة عامة أيام الجمع. وقررت الأغلبية هذا ولكن لم يمض على الاتفاق شهر ونصف قام خلالها كل مني والأخ عثمان الكعاك بمحاضرة: واحدة منهما تعرضت لنقد كتاب «الأدب العرب في المغرب الأقصى»،

(1) يشير بالخصوص إلى جريدة «النديم» التونسية وصاحبها الذي أعلن الحرب على الشابي أولاً وعلى الحداد ثانياً.

(2) هو العالم الباحث الكبير (1903 - 1976) كان من أعضاء النادي النشيطين راجع رسالة ممتازة له عن الشابي في كتابنا «رسائل حول الشابي».

والأخرى تعرضت لطريقة البحث في الثقافة الشرقية عند المشرقين وعند المسلمين في الوقت الحاضر. وقد أغضبت كل منهما طائفة من الناس⁽¹⁾.

«أقول لم يمض على فتح النادي شهر ونصف حتى أخذت علائم الهرم تدب فيه. وبدأ الانحلال يأخذ منه. وتلك هي مصيبة المشاريع التونسية، يندفع القائمون بها في العمل اندفاعاً كله شغف وشوق وإخلاص، ولكنه لا يدوم. فإنه لا يلبث إلا قليلاً حتى يخبو أواره، وتركد ربحه، وينصدع شمل الجميع. تلك هي مصيبة المشاريع التونسية»⁽²⁾.

من هذه البيانات التي سجلها الشابي في يومياته ندرك بأن النادي الأدبي وأدبائه المجددين كانوا يعانون العزلة بل المقاطعة التامة من طرف الجمهور، لأنهم متهمون في دينهم ومناهج تفكيرهم بالإلحاد والزندقة. كما أن الشابي يثير في اليومية الثانية مشكلة أخرى حول هذه المحاضرة. فهو صريح في يوميته الأولى بأنها لم تلق في موعدها المحدد بسبب غياب جمهور النادي. . ولكنه يزعم في اليومية الثانية بأنها أُلقيت وأثارت ضجة؟! مع أن المدة بين اليوميتين هي أسبوع واحد فقط. وقد أكد زميله وصديقه المهدي بأنها لم تلق ولم تنشر⁽³⁾. ولعل الشابي كان يفكر في محاضراته عن الخيال الشعري عندما كتب يوميته الثانية. ومما يؤكد هذا التفسير أن نص المحاضرة وصلنا في نسخته

(1) هذا يفيد أن الشابي ألقى المحاضرة ولكن أصدقاؤه ومعاصريه وبينهم خريف والكعك يؤكدون عدم إلقائها، كما أشار هو نفسه في مذكراته ليوم 13/1/1930 ولعله يقصد أنه تم إعدادها والإعلان عن إلقائها.

(2) المرجع نفسه ص 64 - 65.

(3) الواقع أن المهدي مضطرب بدوره في كون المحاضرة أُلقيت أم لا. مع أنه كان من الملازمين للشابي ولل قضية ذاتها.

الأصلية (أي المسودة) وأن محاضراته عن الخيال الشعري ومحاضرات النادي في عام 1929 قد دارت حولها معارك طاحنة في الصحافة التونسية وكان نصيب الشابي من تلك المعارك ومن سهام أنصار الأدب القديم نصيب الأسد - كما يقال - فقد أنكر هو أن يكون للشعر العربي في عصوره المختلفة خيال شعري يرقى به إلى مستوى الآداب العالمية، وخاصة الآداب الأوروبية. وأعلن أن السبب في ذلك هو الروح المادية وسطحية الشعور المسيطرة عليه. . . وقد تأثر الشابي في هذا الاتجاه بالعقاد ومدرسة الديوان. . . ومن أقطابها العقاد. . لا سيما ما جاء في دراسته عن ابن الرومي. كما أنكر زميله محمد صالح المهدي وجود شاعر جاهلي يسمى امرؤ القيس مقتفياً في هذا الادعاء خطى طه حسين في الشعر الجاهلي. . . . وكانت الضجة حول كتاب طه في مصر وتونس ما تزال قوية صارخة. وزاد الناس نفوراً من النادي الأدبي واتهاماً لشبابه بالمروق والتجديف. . محاضرة عن «منهج ديكارت وطه حسين» ألقاها راهب مصري أقام مدة في تونس يدعى الأب يوسف سلام⁽¹⁾.

ومهما تكن الملابس والظروف المحيطة بمحاضرة الشابي عن شعراء المغرب، فإن ما يعنينا اليوم هو موقفه في هذه المحاضرة حول شعر فقدينا عبدالله كنون وشاعريته في زمن الشباب وبواكيره الأدبية. وكذلك بقية شعراء الشباب عامئذ.

الوثيقة النادرة

تقع الوثيقة، أي محاضرة الشابي في أربعة عشر صفحة بخطه وقد قدم لها بخطه أيضاً صديقه محمد صالح المهدي، الذي كان يعترم

(1) راجع عنه وعن نشاطه بتونس كتاب «الحركة الأدبية والفكرية في تونس» للشيخ محمد الفاضل ابن عاشور. وبحثنا عن «تونس وطه حسين».

نشرها في جريدة الزمان عقب الموعد المحدد لإلقائها فقال:

«... إن هذا الموضوع تقاسم البحث فيه هو [أي الشابي] وزميلنا الأستاذ [زين العابدين] السنوسي مدير مجلة العالم الأدبي ودار العرب بتونس. على أن يتناول الأول (الشابي) الشعراء الشبان، والثاني (السنوسي) الشعراء الشيوخ.

«وبحث هذا الموضوع من الأهمية بمكان، حيث إنه يقوي الرابطة التي يسعى لها سكان الشمال الإفريقي ويحقق ذلك الغرض الشريف الذي خصصنا له باباً بجريدتنا لخدمته»⁽¹⁾.

أي خدمة الوحدة بين شعوب المغرب العربي.

يستهل الشابي حديثه ببيان المنهج الذي توخاه في نقد الجزء الثاني من كتاب القباج، مصرحاً بأنه لن يتحدث بشيء عن مؤلف الكتاب، ولا عن طريقته في تأليفه وهل كانت طريقة أو منهجاً صحيحاً في بحثه وتقديمه وتراجمه أم كان عكس ذلك تماماً؟

كما أشار الشابي إلى أنه مقتصر في حديثه عن الشعراء الشباب لأنهم أصدق تعبيراً عن خوالج الشعب ورغباته وطموحه، وأنهم أقرب إلى نفسه ومنازعه الأدبية.. لكنه، بعد ذلك، يصدر حكماً شديداً قاسياً على معظم الشعراء الشباب، ولا يستثني سوى أربعة، هم علال الفاسي والمختار السوسي وعبدالله كنون ومحمد القري. وقد استبد بإعجابه وتقديره بين هؤلاء الأربعة علال الفاسي.. الذي نوه به وأطال معه الحديث والأمثلة من شعره.

(1) كان المهدي عامئذ المحرر الأول بجريدة الزمان.

ومعلوم أن الجزء الثاني من كتاب القباج قد ترجم وعرف بأحد عشر شاعراً. على أن الشابي نوه في غير مجال الشعر بمعارف ومواهب الأديب محمد المكي الناصري. . وتوقع له مستقبلاً علمياً مرموقاً.

أما بقية الشعراء الستة الآخرين فإنهم - في نظره ومقياسه النقدي - غير جديرين بالعناية والدرس، فشعرهم ليس فيه، كما يقول حرفياً «ما يلفت النظر أو يثير الشعور، زيادة على ما في شعرهم من مأخذ لغوية ونحوية وعروضية»؟!

ونعود إلى تمهيد الشابي الذي استهل به بحثه أو محاضراته. . لنرى كيف انطلق في الحديث عن هؤلاء الشعراء ثم كيف حكم على أكثريتهم حكماً قاسياً وشديداً، رغم كونه محقاً فيه. . ولماذا حظي عنده شاعر واحد فقط هو علال الفاسي، ثم اختار إلى جانبه وفي الدرجة الثانية بعده - ثلاثة آخرين بينهم بوجه خاص شاعرنا الفقيد عبدالله كنون. . . وننهي مختاراتنا من محاضرة الشابي بالفقرة التي نوه وأشاد فيها بالأديب العالم الناثر محمد مكي الناصري ناصحاً له بهجر الشعر وعدم ممارسته أو العودة إليه.

يقول الشابي. . في استهلال ذلك كله ما يلي حرفياً:

«... أيها السادة...»

«لست محدثكم اليوم عن السيد قباج جامع الكتاب، وهل أنه وفق التوفيق كله في الترجمة لبعض من ضمهم كتابه. وهل أن الترجمة قد كانت على الأساليب العتيقة التي لا تعدو: ولد فعاش فمات، أو أنها كانت على الطريقة الفنية المستحدثة التي لا تكتفي بدون النزعات الروحية غاية وبدون التحليل الدقيق صنيعاً.

«كما أنني لست محدثكم عن الجزء الأول من الكتاب الذي لا يحتوي إلا على طائفة من شيوخ المغرب الأقصى. . بعضهم تغلب

عليه النزعة العلمية وبعضهم تغلب عليه النزعة الصوفية وبعضهم تغلب عليه النزعة الأدبية. وإن اتفقوا كلهم في نظم الشعر وصناعة القريض.

«وإذن.. فما الذي سأحدث عنه...؟»

«سأحدث عن الجزء الثاني. هذا الجزء الذي لا يفيض إلا بنزعات الشبيبة وأحلامها. هذا الجزء الذي يمثل لنا الحياة المغربية الحاضرة بما لها من مطامح وآمال ورغبات ونوازع. هذا الجزء الذي لا يضم إلا أشعار الشباب المغربي الطموح، هو الذي أريد أن أتكلم عنه الليلة بما أستطيع، لأن أغاني الشباب وأحلامه هي عنوان حياة الشعوب. وإذن فنحن بدرسنا لشعراء الشباب المغربي سنكون قد أخذنا صورة صادقة - أو قريبة من الصدق - من الحياة المغربية الحاضرة.

«... هاته الروح الفتية الطامحة التي تتعاقب عليها عواطف الشعب وأمانيه. فمن ثورة قاصفة عاصفة إلى لوعة متوجعة وآلهة، إلى أصوات هادئة مطمئنة. ذلكم هو ما شعرت به حينما طالعت الجزء الثاني من كتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى».

«[فهل] في الكتاب إذن صورة حية رائعة ناطقة بأصوات ذلك الشعب المغربي وأحلامه؟»

[وهل] في الكتاب إذن مثل عليا سامية من الأدب العالي الرفيع؟

«أقول في الجواب عن هذين السؤالين: نعم ولا، أقول نعم لأن في الكتاب بعض صور حية تشعرك وأنت تقرؤها بأنها قطع «إنسانية» من لحم ودم لا أنصاب جامدة خزفية مجبلة من طينة التقليد.

«وأقول، لا، لأنها ليست عريقة في «إنسانيتها» بكل ما في الإنسانية من أفق سام ومعنى عميق زاخر بثتى المعاني والأنغام. بل هي صنف وسط ما زال في ذلك الدور النشوئي الذي بين الإنسانية والحيوانية»!؟..!

بعد هذا الحكم الجارف الخطير على أدب الشباب المغربي . .
يتساءل الشابي عن علة ذلك قائلاً:

« . . ما الذي - يا ترى - قد صبغ الأدب المغربي بهاته الصبغة
المتشابهة وألقى على أنفسهم [أي الشعراء] من هذا اللون الوحيد؟

«هو الشعب الذي ليست له أمان وأحلام غير تلك الأمانى
والأحلام؟ وليس فيه من صور الحياة إلا تلك الصورة الوحيدة التي تمثله
في طموحه إلى المجد والحياة؟

«أم هم الشعراء لا يعرفون من فنون الكلام غير هذا الفن الوحيد؟!!

«أم هناك شيء آخر له أثره الفعال في طبعهم بهذا الطابع الفرد؟

«لا أخال عاقلاً يعلل ذلك بأن الشعب المغربي ليست له من الصور
والأمانى إلا تلك الصورة وذاك الأمل . بل علة ذلك هو أن هذه الحركة
الأدبية التي تريد أن تتصل بالشعب وتشعر بجذوة الحياة لم تزل في
طفولتها الأولى . . طفولة التقليد والبحث والتسأل . ولعل هاته الطفولة
الأدبية سيعقبها شباب قوي يدمدم في الكون كالعاصفة ويحدق كالنسر
بأشعة الشمس الساطعة!!!

«وهناك سبب آخر أحسبه علة العلل ومصدر الأسباب في اتفاق
الشعراء على نقطة واحدة وتواردهم على معنى فريد، هو أنهم لا
يطمحون إلى العظمة الشعرية المنتجة، التي لا ترضى بغير العالم مقعداً
وبغير الإنسانية أتباعاً . . .» .

وبعد حديث آخر عن مقياس الإبداع والإجادة في الشعر الحي
الخالد . . يصل الشابي إلى ما يشبه الخلاصة في أحكامه وآرائه عن
شعراء الشباب المتحدث عنهم فيقول:

« . . .»

«هذه كلمتي عن الكتاب من حيث روحه السارية فيه . أما كلمتي
عن أسلوب ذلك الأدب وألفاظه فهي :

إن أسلوب الشعراء في الغالب لا يتسامى كثيراً فيساوي تلك
الأساليب البليغة التي يتخذها أنصار القديم مثلاً يحتذى ويقاس عليه ،
ولا يصل إلى ما بلغت إليه هاته الأساليب الطريفة المستحدثة من أناقة
وتجاوب وإبداع . . وإنما هي أساليب متوسطة لا تخلو من الغلط
النحوي واللغوي في بعض الأحيان ومن المآخذ العروضية في الكثير .
ولا استثنى من بين شعراء الكتاب (أي الشباب) إلا شاعراً واحداً هو
السيد محمد علال الفاسي الذي «أعطاه شباب المغرب الأقصى لقب
شاعر الشباب عن جدارة واستحقاق» كما يقول جامع الكتاب . . .» .

وبعد حديث مناسب عن الشاعر الشاب علال الفاسي وأمثلة
مختارة من شعره . . يضيف الشابي ثلاثة من شعراء الشباب نالوا بعض
إعجابه واهتمامه ، وبينهم شاعرنا الفقيه عبدالله كنون . . يقول الشابي :

« . . . وهناك ثلاثة شعراء آخرين قد يعجب أسلوبهم ، لا لطرافته
وإبداعه ولا لروعته وجلاله ، ولكنه لأنه نأى عن تلك المزالق النحوية
والعروضية واللغوية التي وقعت فيها أساليب الشعراء الآخرين . . هؤلاء
الثلاثة هم :

- السيد محمد القري

- والسيد عبدالله كنون⁽¹⁾ .

- والسيد محمد المختار السوسي» .

ويستشهد الشابي بأبيات للشاعرين الأول والثالث ثم يقف عند

(1) في كتاب القباج كما في وثيقة الشابي كتب لقب الشاعر «جنون» بالجيم المعطشة
وكانت هكذا في عصرهما . أما الآن فإن أهل المغرب وكذلك فقيدنا «كنون»
يكتبونها بالكاف فوقها فتحه .

شاعرنا الشاب عبدالله كنون، وبالتحديد عند قصيدة له نالت إعجاب الشابي فنقل أكثر أبياتها في محاضراته. وهي بعنوان «ثباتي وحزمي». كما في كتاب القباج⁽¹⁾ ومحاضرة الشابي. . ولكنها في ديوان كنون⁽²⁾. تحت عنوان آخر هو: «الحماسة العصرية»⁽³⁾ ولعل الشابي قد شده إليها توجهاتها الوطنية وما طفحت به من عزة في النفس وطموح إلى المجد والمثل العليا.

ومن الطريف الملفت للنظر. . أن الشيخ القباج قد حذف كلمة لها معنى سياسي ووطني من البيت الأخير ولكن الشابي اهتدى إليها بحدسه البارع وحسه الشعري. وواضح أن السبب في حذف هذه الكلمة عند القباج هو حذره من سلطة الحماية، ولعل حذفها كان من طرف الرقيب الاستعماري. على أن كلمة الشابي المضافة قد كانت هي نفسها التي أثبتها صاحب القصيدة في ديوانه عندما صدر عام 1966.

تتكون القصيدة في كتاب القباج وفي الديوان من ستة عشر بيتاً. وقد اختار الشابي ثلاثة أبيات ثم تسعة أبيات، وترك أربعة، والأبيات المتروكة هي من رقم 4 إلى 7 بدخول الغاية. وفيما يلي الأبيات المختارة عند الشابي.

«ويقول السيد عبدالله كنون من قصيدته «ثباتي وحزمي»:

- 1 - أما وشبابي في العلا قسماً برا لأنني امرؤ أبى المهانة والضيـرا
 - 2 - أحميد بنفسي أن تهان كرامتي وأربأ أن أسعى لما يوجب العذرا
 - 3 - إذا قيل هيا للفضيلة لم يكن ليسبقني من جد في نيلها السيرا
- إلى أن يقول:

(1) ج 2 ص 38.

(2) عنوانه «لوحات شعرية» ط. تطوان، 1966.

(3) ص 23.

- 8 - يقول حسودي إنني متدنيء⁽¹⁾ وكيف ونفسي قد تجاوزت الشعري⁽²⁾
- 9 - لئن غره مني مداراة جاهل
- 10 - ولي بين أضلعي⁽³⁾ وبين جوانحي
- 11 - أحمله ما ناء رضوى ببعضه⁽⁴⁾
- 12 - ويأبى التصابي والتعلق بالهوى
- 13 - فلا حب إلا للبلاد وأهلها
- 14 - أرى أنني إن لم أعد بسعادة
- 15 - وإني إذا حققت ما أبتغي لها⁽⁶⁾
- 16 - فيا وطني لا بت إلا [محرراً]⁽⁷⁾ ويا أمتي لقيت في سعيك البرا⁽⁸⁾
- وإن كلف نفسي قد تجاوزت الشعري⁽²⁾
- فإن السياسي من يداري الوري طرا
- فؤاد يرى في حادثات الدنا صخرا
- فيحمله لا يُستَحَسُّ⁽⁵⁾ له وقرا
- لأنهما للهون كانا معاً جسرا
- تخلل أنفاسي وأشربته خمرا
- على أمتي - يا حسرتا - مت مضطرا
- كفاني بأن حققت ثم لا فخرا
- ويا أمتي لقيت في سعيك البرا⁽⁸⁾

إن كلمة «محرراً» التي قالها الشاعر في بيته الأخير: «فيا وطني لا بت إلا محرراً...» والتي حذفها القباچ أو حذفها الرقيب هي التي أضافها الشابي من عنده وهي الكلمة نفسها التي أثبتتها كنون في «لوحاته الشعرية». لأنهما شاعران مخلصان للشعر وللفن وللوطن والشعب. ولأن القصيدة طافحة بمعاني النخوة والعزة الوطنية، وبروح الإخلاص والحب للوطن، فإن الشابي قد اقتصر عليها ولم يتجاوزها إلى غيرها.

- (1) هكذا عند القباچ والشابي ولكن الشاعر غيرها في الديوان بـ «متطامن».
- (2) هو الكوكب المعروف الذي يظهر في شدة الحر.
- (3) هكذا عند القباچ والشابي. والأصوب ما جاء في الديوان: «أضلاعي» لصحة الوزن.
- (4) في الديوان: «بحمله».
- (5) في الديوان: «يستحسن» بزيادة النون. وهو خطأ مطبعي. . كم يبدو.
- (6) في الديوان: «لهم».
- (7) كلمة «محرراً» عوضت بنقط عند القباچ، وقد أضافها الشابي بحدسه الشعري وحسه الوطني. وقد كانت هي نفسها في الديوان عندما طبع عام 1966.
- (8) القصيدة كاملة في الديوان ص 22 - 23.

ولعل ذلك أيضاً هو السبب الذي حمل الشاعر على تغيير عنوانها القديم، الذي كان عنواناً ذاتياً خالصاً فجعله عنواناً أكثر انطباقاً على فحوى القصيدة وأصدق تعبيراً عن المشاعر الوطنية العارمة فيها.

ونتهي جولتنا وفقراتنا المختارة من وثيقة الشابي عن شعراء المغرب الشباب في عصره بما ختم به محاضراته من رأي عن الشاعر الشاب (عامئذ) محمد المكي الناصري حيث قال عنه:

«بقي لنا شاعر جدير بي أن أحدثكم عنه وهو السيد المكي الناصري نزيل القاهرة الآن وأحد تلامذة الجامعة المصرية هناك. فقد ذكر هذا الشاعر في ترجمته التي كتبها بنفسه كثيراً من الآراء القيمة في أسلوب متين جميل. ومما ذكره هو أنه سأل فريقاً من زملائه «شعراء الشباب: هل حسن أن أمضي في معالجة الشعر أو انصرف عنه إلى غيره؟ فقالوا في لهجة مخلصلة لا رياء فيها ولا نفاق. كأنك لم تخلق لأن تكون شاعراً، ولعل استعدادك للعلم أقرب من استعدادك للشعر، ولعل البلاد ستنتفع بك كعالم أكثر من أن تستفيد منك كشاعر». وأنا أنصح له في غير رياء ولا نفاق أيضاً أن ينصرف عن الشعر إلى العلم والكتابة لأنني أرى أنه سيكون له مستقبل علمي زاهر وحياة كتابية مزدهرة...». فهل تحققت فراسة الشابي.. واستجاب الناصري لنصيحته؟ الجواب بنعم أو، لا.. هو من حقكم واختصاصكم.

النص الكامل للمحاضرة

«مع تعليقات وشروح ضرورية»

حمداً وصلوةً وسلاماً

أيها السادة

أيها الرفقاء

لست محدثكم اليوم عن السيد قباج⁽¹⁾ جامع الكتاب⁽²⁾، وهل أنه وفق التوفيق كله في الترجمة لبعض من ضمهم كتابه، وهل أن الترجمة قد كانت على الأساليب العتيقة التي لا تعدو: ولد فعاش فمات... أو أنها كانت على الطريقة الفنية المستحدثة التي لا تكفي بدون النزعات الروحية غاية، وبدون التحليل الدقيق صنيعاً.

كما أنني لست محدثكم عن الجزء الأول⁽³⁾ من الكتاب الذي لا يحتوي إلا على طائفة من شيوخ المغرب الأقصى، بعضهم تغلب عليه النزعة العلمية⁽⁴⁾ وبعضهم تغلب عليهم النزعة الصوفية، وبعضهم تغلب عليه النزعة الأدبية وإن اتفقوا كلهم في نظم الشعر وصناعة القريض.

لست محدثكم عن واحد من هذين الموضوعين لأن الأخ زين العابدين⁽⁵⁾ قد تعهد بالتحدث إليكم عن كليهما، وإذاً فما الذي سأحدث

(1) هو محمد بن العباس القباج المذكور في التقديم.

(2) كتاب القباج «الأدب العربي في المغرب الأقصى» ط 1. الرباط 1930.

(3) المخصص للشعراء الشيوخ.

(4) بالمفهوم الشائع عامئذ في معاهد التعليم التقليدية؛ بمعنى متخصص في «العلوم الدينية».

(5) زين العابدين السنوسي، صديق الشابي ونصيره في حياته الأدبية وفي النادي الأدبي لجمعية «قدماء الصادقية» حيث تقرر أن يلقي الشابي كلمته هذه عن شعراء

عنه ليلتذ؟ سأحدث عن الجزء الثاني من الكتاب، هذا الجزء الذي لا يفيض إلا بنزعات الشبية وأحلامها، هذا الجزء الذي يمثل لنا الحياة المغربية الحاضرة بما لها من مطامح وآمال ورغبات ونوازع، هذا الجزء الذي لا يضم إلا أشعار الشباب المغربي الطموح: هو الذي أريد أن أتكلم عنه الليلة بما أستطيع لأن أغاني الشباب وأحلامه هي عنوان حياة الشعوب. وإذا ف نحن بدرسنا لشعراء الشباب المغربي سنكون قد أخذنا صورة صادقة - أو قريبة من الصدق - من الحياة المغربية الحاضرة.

(ماذا وجدت حين قرأت الكتاب؟ وما أحسست حين قرأت قصائد الشبية المغربية؟)⁽¹⁾.

حركات فتية في مستهل نهضتها الأولى تحاول أن تجد لها مركزاً تحت نور الشمس.

وحياة تجيش بها قلوب الشباب المغربي الطامح إلى المجد والعللا.

وأرواح نزاعة إلى الثورة على ما بالمغرب الأقصى من طقوس وعادات لا يرتضيها الدين ولا يقرها العقل المفكر.

ونفوس دائبة على الدعوة إلى إصلاح بلادها من نواحيها الدينية والاجتماعية.

وهي في دعوتها تلك، تارة تكون مندفعة عنيفة نائرة، وأخرى هادئة لينة ساكنة، وأحياناً شاكية منتحبة تبكي مجدها الضائع الأثيل.

تلك الحياة المستيقظة الساعية إلى نور الشمس وأنسام الوجود،

الشباب من كتاب القباچ المخصص لهم الجزء الثاني، أما الجزء الأول المخصص لشعراء الشيوخ فقد تعهد السنوسي بالحديث عنه، لكنه لم يفعل.
(1) ما بين القوسين الكبيرين مشطوب عليه في الأصل.

وهاته الروح الفتية الطامحة التي تتعاقب عليها عواطف الشعب وأمانيه: فمن ثورة قاصفة عاصفة إلى لوعة متوجعة وألهة، إلى أصوات هادئة مطمئنة، ذلكم هو ما شعرت به حينما طالعت الجزء الثاني من كتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى».

ففي⁽¹⁾ الكتاب إذاً صورة حية رائعة ناطقة بأصوات ذلك الشعب المغربي وأحلامه؟

وفي⁽²⁾ الكتاب إذاً مثل سامية من الأدب العالي الرفيع؟
أقول في الجواب عن هذين السؤالين: نعم ولا.

أقول نعم، لأن في الكتاب بعض صور حية تشعرك وأنت تقرأها بأنها قطع «إنسانية» من لحم ودم، لا أنصاب جامدة خزفية مجبلة⁽³⁾ من طينة التقليد.

وأقول لا، لأنها ليست عريقة في «إنسانيتها» بكل ما في الإنسانية من أفق سام ومعنى عميق زاخر بشتى المعاني والأنغام. بل هي صنف وسط ما زال في ذلك الدور النشوئي الذي بين الإنسانية والحيوانية.

هي قطع صبت في قالب واحد، ونضدت على نسق فرد، فكانت نمطاً واحداً في التفكير والمشاعر والعواطف.. وكانت أنغاماً متشابهة متقاربة المقاطع والنبرات، كأنها صادرة من وتر واحد في قيثارة واحدة.. ولعلنا نكون أقرب إلى الصواب حين نقول: إنها أنشودة واحدة تقصر حيناً وتتطاول أحياناً، ولكنها في الحالتين صادرة من حنجرة واحدة.. فهي لا تمثل عواطف شعب بأكمله له مطامحه ورغباته، له ملذاته وشهواته، وله طبيعته الجميلة التي توحى إلى

(1) هكذا في الأصل (راجع بعد) بخط الشابي والصواب أن يكتب: فهل في... .

(2) هكذا أيضاً بخط الشابي، والمناسب أن يقول: وهل في... .

(3) أي مصنوعة.. .

قلوب⁽¹⁾ ما توحيه وتوقظ في أنفسهم ما توقظ من شتى العواطف والخواطر، وهي لا تصف حياة أمة بأسرها، من بينها⁽²⁾ البر والفاجر، والآثم والطاهر، والطفل اللاعب بين أحضان أمه، والغادة الحالمة بين موحيات الحب وأضوائه، وفيها الشباب المتوثب بعزم الحياة. والكهل المثقل بمتاعب العيش وتكاليفه، والشيخ الذي هدمت قواه الأيام فأصبح فريضة⁽³⁾ بالية ترتعد في شتاء الحياة، فهي منتظرة نزول الصاعقة وانقشاع الغيوم، وفيها الشاعر التائه بين سدم الوجود ومعضلات الأيام المتغني بفتنة الحب وجمال الربيع، الباكي مع الإنسانية السائرة في موكب الأيام. والصوفي العاكف في صومعته المنفردة يناجي ربه بنفس يعذبها الخوف ويطلبها الرجاء.

كل هذه الصور الحية الإنسانية لا وجود لها بين قطع هذا الكتاب وإنما هي صور غير متعددة لناحية واحدة⁽⁴⁾ من النفسية المغربية وهتاف متواصل إلى الإصلاح الديني والاجتماعي يردده شباب المغرب الأقصى في كل لحظة وأن.

وما الذي يا ترى قد صبغ الأدب المغربي بهاته الصبغة المتشابهة وألقى على أنفسهم من هذا اللون الوحيد؟.

- أهو الشعب الذي ليست له أمان وأحلام غير تلك الأماني والأحلام، وليس فيه من صور الحياة إلا تلك الصورة الوحيدة التي تمثله في طموحه إلى المجد والحياة؟.

(1) هكذا وردت في الأصل . . ولعل السياق يناسبه: «قلوبهم».

(2) كلمة غير واضحة، ويمكن أن تقرأ: من بينها . . .

(3) هكذا كتبها بالصاد، ولعله يشير إلى ما يصيب الخائف المستهدف: من فزع ورعب ومنها ارتعدت فرائضه . . من شدة البرد أو من شدة الخوف.

(4) في هذه الفقرة تشطيب وإصلاح . . وقد اعتمدنا ما اختاره الكاتب (راجع الأصل).
الآتي بعد هذا.

- أم هم الشعراء لا يعرفون من فنون الكلام غير هذا الفن الوحيد؟

- أم هناك شيء آخر له أثره الفعال في طبعهم بهذا الطابع الفرد؟

لا أخال عاقلاً يعلل ذلك بأن الشعب المغربي ليست له من الصور والأمازي إلا تلك الصورة وذلك الأمل⁽¹⁾، بل علة ذلك هو أن هذه الحركة الأدبية التي تريد أن تتصل بالشعب وتشعر بجذوة الحياة لم تزل في طفولتها الأولى، طفولة التقليد والبحث والتساؤل.

ولعل هاته الطفولة الأدبية سيعقبها شباب قوي يدمدم في الكون كالعاصفة ويحرق كالنسر بأشعة الشمس الساطعة.

وهناك سبب آخر أحسبه علة العلل ومصدر الأسباب في اتفاق الشعراء على نقطة واحدة وتواردتهم على معنى فريد، هو أنهم لا يطمحون إلى العظمة الشعرية المنتجة التي لا ترضى بغير العالم مقعداً وبغير الإنسانية أتباعاً، وإنما هم شاعرهم، إذا ما طمح، أن يكون كواحد من شعراء بلاده الذين يعترف لهم بالفضل والأسبقية. ذلك المطمح الصغير الضئيل هو كل ما تجده في نفس الشاعر المغربي الناشيء في صناعة الشعر، وهذه القناعة الروحية هي شر ما يُمنى به شعب في بدء نهضته، أو شاعر في مستهل حياته؛ لأنها تقضي عليه بأن لا يتجاوز تلك الدائرة الضيقة من الحياة وبأن لا تتكون في نفسه نزعة الاستقلال في الفكر والعاطفة والشعور. وكيف تتولد في نفسه هاته

(1) للشابي رأي مماثل، وبنفس الألفاظ - تقريباً - في «الشعب التونسي وشعرائه المعاصرين له». راجع مقالته: «الشعر والشعراء عندنا»، وفي المناسبتين يتهم الشابي الشعراء بالقصور والعجز والتقصير. . ويدافع عن الشعب بأنه ملهم ومصدر عبقرية وإبداع. . بل ويعد الشعراء الشعبيين أصدق تعبيراً من شعراء الفصحى عن مشاعر الشعب وآماله ومطامحه. راجع بحثنا عن «موقف الشابي من الأدب الشعبي».

النزعة السامية التي هي أول عنصر لعظمة النفس وإنتاجها وهو لا يطمح إلا إلى أفق ضيق محدود ولا يغذي روحه إلا بذلك المطمح التافه الصغير . . .

وليس أدل على وجود هاته القناعة الروحية في شباب المغرب الأقصى من قصيدة «لَمْ لا أقول الشعر كيف أريد؟» التي قالها أحد شعراء الكتاب وهو السيد محمد المختار السوسي⁽¹⁾.

يقول:

لما لا أقول الشعر كيف أريد وأنا بنيران الشعور وقود
لما لا أقول وإنني متململ في حين أن القائلين رقاد
وأتاهم السحر الحلال وما انتحى قلبي أنا إلا صفا وحديد

أجل! إن أدب المغرب الأقصى الذي بهذا⁽²⁾ الأدب - ليس من الأدب العالي في روحه:

أولاً: لتوارد شعرائه على منهل واحد؛ والتوارد عندي دليل على فقر في الشاعرية وجذب في الخيال وضعف في الإحساس بمظاهر هذا الوجود الرائع وطواياه، وليس أدل على حياة الأمة أو حياة شعرائها - بدقة المعنى - من اختلاف في منازع التفكير ومناهج الرأي وأنماط اللفظ والصياغة، لأن ذلك يدل على وجود نزعة استقلالية في نفوس الشعراء.. هي أعظم دليل على القوة الحيوية والثروة الشعرية التي تنأى بصاحبها عن التقليد وتنزع به إلى أن يجوب كالنسر أجواء الوجود ويتدشرف كالنحلة من رحيق الحياة ما بين الأشواك والزهور..

(1) يتألم من قصوره عن اللحاق ببعض شعراء المغرب الأقصى والجزائر «تعليق للشابي».

(2) هكذا بخط الشابي.. ولعله سهو منه. وأنه يريد «كهذا الأدب..».

ثانياً: إن المقياس الأدبي الذي أعرف به سمو الأدب من دنوه هو أنني حين أتلو شيئاً من الأدب وأشعر باتساع أفق الحياة في نفسي وبارتفاع درجة الإحساس في قلبي فذلك هو الأدب العالي وإلا فذلك هو الأدب الوضيع؛ وهذا لاعتقادي أن الشاعر الحق يجب أن يكون من نوع أرقى من البشرية يمتاز عنها بقلب ملتهب وإحساس دفاق ونفس عبقرية بأطيافها وأحلامها، ومن كان كذلك فلا بد أن تكون آثاره قطعاً من جوهر الحياة فيها ما فيها من إحساس قوي، وشعور دقيق، وجمال رائع. وأنا حين قرأت هذا الكتاب لم أجد من بينها ذلك الأدب الذي يوسع في نفسي أفق الحياة ويجعلني أشعر بهذا الوجود أو ببعض ما فيه أكثر مما ألفت أن أشعر، ولم أَلَفَ بين شعرائه ذلك الشاعر الذي يسمو عن المستوى الإنساني المألوف بإحساسه وأحلامه؛ وإنما وجدت قطعاً أقرأها فأظلم على ما عهدت نفسي من قبل، ونفوساً عادية من العنصر البشري المألوف.

هذه كلمتي عن الكتاب من حيث روحه السارية فيه، أما كلمتي عن أسلوب ذلك الأدب وألفاظه فهي:

إن أسلوب الشعراء في الغالب لا يتسامى كثيراً فيساوي تلك الأساليب البليغة التي يتخذها أنصار القديم مثلاً يحتذى ويقاس عليه، ولا يصل إلى ما بلغت إليه هاته الأساليب الطريفة المستجدة من أناقة وتجاوب وإبداع. وإنما هي أساليب متوسطة لا تخلو من الغلط النحوي واللغوي في بعض الأحيان ومن المآخذ العروضية في الكثير، ولا أستثني من بين شعراء الكتاب إلا شاعراً واحداً هو السيد محمد علال الفاسي الذي «أعطاه شباب المغرب الأقصى لقب «شاعر الشباب» عن جدارة واستحقاق». كما يقول جامع الكتاب. ففي شعر هذا الشاعر وحده أجد رصانة اللفظ وتناسق الكلمات وصدق التركيب وحرارة العاطفة، وأحس

أن بين جنبيه شاعرية ناشئة كان لها أن تحلق في جو أفسح مما هي فيه الآن لو عاشت في وسط أرقى من ذلك الوسط ولو تثقفت بثقافة أسمى من تلك الثقافة، وكان لها أن تأتي بأنغام أحلى وأعذب من أنغامها؛ ولو أتاح لها القدر من رياح الحياة ما هو أقوى وأسمى مما يخالج أوتارها من نسيمات. بل إنني أعتقد أن هذا الشاعر سيكون له شأن في تاريخ الحياة الأدبية في المغرب الأقصى⁽¹⁾. ولكي يتبين لكم جمال أسلوب هذا الشاعر وصفاء ديباجته وسلامتها من الركة والتكلف سأتلو عليكم بعض قصائد له؛ يقول في قصيدة خاطب بها الشبيبة المغربية التي ألفت من بينها جوقاً مثل رواية «صلاح الدين الأيوبي»:

كل صعب على الشباب يهون هكذا هممة الرجال تكون
قدم في الثرى وفوق الثريا هممة قدرها هناك مكين
قد حسبناهم رجالاً فكانوا ولهم في الحياة مغزى ثمين

ويقول من قصيدة «سيعرفني قومي»:

أبعد مرور الخمس عشرة العب وألهوا بلذات الشباب وأطرب
ولي نظر عال ونفس أبية مقاماً على هام المجرة تطلب

إلى قوله «تعريني هند...» . . . ومنها:

وما ساءني في القوم إلا عقولهم وظنهم أن المعالي توهب
وكنت أرى تحت العمائم حاجة فما هي إلا أن يدوم المرتب
بلوت بني أمني سنين عديدة فألفيت أن النشأ للخير أقرب

(1) كان لعلال الفاسي شأن وأي شأن في المغرب الأقصى خلال العقود اللاحقة وإلى تحقيق الاستقلال عام 1956 ولكن ذلك الشأن الشامخ الرفيع كان في ميادين السياسة والوطنية والكفاح التحريري، أما الشعر فرغم ممارسته له وإنتاجه المتواصل فيه فإنه لم يتجاوز قط «أدب الفقهاء» أو أواسط الشعراء النظامين، وكل مسخر لما خلق له وتمرس عليه؟! .

ولكن أين النشأ؟ فهو موله وأين ضمير النشأ فهو محجب
تحجبه الآباء عن كل حكمة وتمنعه عن كل ما قد يهذب

فما قولكم في هاته الديباجة الناصعة والأسلوب الرصين؟ أما
المواضيع التي يطرقها السيد علال بهذا الأسلوب الجميل فهي عين
المواضيع التي يطرقها غيره من شعراء بلاده الذين ربما قصرُوا عن
اللاحق بلهجته الصادقة حتى أننا رغم قوله في بعض شعره:

الشعر روح في الفؤاد كريمة يوحى إليها الكون ما يخفيه
لا نجد في شعره ما أوحاه إليه هذا الكون الكبير!!

وهناك ثلاثة شعراء آخرين قد يعجب أسلوبهم الشعري لا لطرفته
وإبداعه ولا لروعته وجلاله ولكنه لأنه نأى عن تلك المزالق النحوية
والعروضية واللغوية التي وقعت فيها أساليب الشعراء الآخرين، هؤلاء
الثلاثة هم السيد محمد القري والسيد عبدالله جنون⁽¹⁾ والسيد محمد
المختار السوسي.

يقول السيد محمد القري من قصيدة عنوانها «ما لقومي»:

زاد في الطين بلة وفسادا من على الجهل والضلال تمادي
يظهر الحق للعيان فيبيدي مع بيان الدليل منه عنادا
ايه ما أبين الحقائق للناس وهم كلهم يرون السدادا

(1) في كتاب القباج جاء لفظ «جنون» بالجيم كما نقله الشابي، ولكن هذه الجيم هي
القاف المعطشة، وكان الشاعر نفسه يكتبها بالكاف.. عليها ثلاث نقط أو الكاف
عليها علامة خاصة، وراجع عن الشاعر العلامة المناضل عبدالله كنون مقالنا عنه
أثر وفاته (عام 1989) بكتابنا «دراسات في التاريخ والتراث» وبحثنا عن موقف
الشابي من شعره (بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته مجلة الحياة الثقافية (تونس) عدد
1990/57 وقد جعلناه مدخلا «لمحاضرة الشابي عن شعراء المغرب» الواردة
إعلاه.

هم بخير في أمرهم ما أقاموا الد
فإذا ما عموا عن الحق بادوا

ويقول منها:

علم الجاهلون أنهم في ال
لم يظنوا أنا فطنا لهم من
واستطابوا حلاوة الجهل فيهم
وجدوا فيه راحة فاستكانوا
إنما الجهل لا يكلف اهلي
لا يذوقون منه مر سؤال
عرفوا أننا عرفنا على ما
مثل من كان في المنام رأى في
راء في النوم أنه في جنان
فاستلذ المنام لم يبخ أن يب
خوف أن تذهب الملة عنه
يفتح العين ثم يغمضها مظ
فهو بيدي تناوما ويغطي
ليعود النهار ليلاً فتأتي
ما لقومي عموا عن الجد اللا
ولووا عن طريقه الواضح الاع
ما كفاهم جهل الرجال فزادوا
تعلم البنات ما تعلمه الاب
مالها لا تعلم العلم واما
وبقاء الفتاة جاهلة عا

ين والعلم واستبانوا الرشادا
واضمحلوا ثنى ثنى وفرادى

جهل ما يطلبون منه ازديادا
قبل أن يقلبوا علينا المرادا
وإلى الجهل أخلدوا إخلادا
له واستوطنوه قصرا مشادا
به بما يتعب العقول الحدادا
في أمور تعيي البليغ السدادا
ينطوي سيرهم فعموا المرادا
به ملذات فاستطاب الرقادا
يقطف الزهر وهو يجني القتادا
قظ عوض من نومه الامادا
ثم لا يلقي بعد إلا الوسادا
هر نوم وما المنام ارادا
وجهه كي يرى الضياء سوادا
ه رؤى مثلها تسر الفؤادا
حب واستبدلوا به الايرادا
لام من جهلهم فضلوا المرادا
له جهل النساء وإبعادا
ن ودين الإسلام أبدى اتحادا
لكن قد ألفتهم الألحادا
ر عليكم لا ينقضي الآبادا

أين دين أتى بحرمانها من ه ضللتهم لا تعرفون الرشادا⁽¹⁾
ألخ القصيدة.

ويقول السيد عبدالله جنون⁽²⁾ من قصيدة «ثباتي وحزمي»:

أما وشبابي في العلا قسما برا
أحيد بنفسي أن تُهان كرامتي
إذا قيل هيا للفضيلة لم يكن
إلى أن يقول:

يقول حسودي إنني متدنيء
لئن غره سنى مداراة جاهل
ولي بين أضلاعي وبين جوانحي
أحمله ما ناء رضوى ببعضه
ويأبى التصابي والتعلق بالهوى
فلا حب إلا للبلاد وأهلها
أرى أنني إن لم أعد بسعادة على أمتي
وإنني إذا حققت ما ابتغي لها
فيا وطني لا بت إلا (محررا)⁽³⁾

وأما السيد محمد المختار السويسي فلا أريد أن أتلو عليكم شيئاً

(1) واضح جداً - كما أشرنا في التقديم - أن الشابي لا يروق له مثل هذا الشعر الركيك الثقيل... وإنما اختاره، كما اختار غيره، لما يتوجه به ويدعو إليه من يقظة وإصلاح وتنوير.

(2) في الأصل محمد عبدالله جنون، والأصح ما أثبتناه: عبدالله كنون.

(3) كلمة «محررا» زادها الشابي من تقديره... ومكانها بياض في الكتاب. راجع تقديمنا لهذه المحاضرة.

من شعره لأن خير قصائده هي: «لما لا أقول الشعر كيف أريد» وقد تلوتها عليكم من قبل (ومع ذلك فإنها لم تسلم من بعض هنوات كاستعمال كلمة «كيف» بمعنى «مثلماً» وأنا لا أعرف في العربية أن تستعمل بهذه المعنى) (*).

بقي لنا شاعر جدير بي أن أحدثكم عنه وهو السيد المكي الناصري نزيل القاهرة الآن⁽¹⁾ وأحد تلامذة الجامعة المصرية هناك⁽²⁾ فقد ذكر هذا الشاعر في ترجمته التي كتبها بنفسه كثيراً من الآراء القيمة في أسلوب متين جميل، ومما ذكره هو أنه سأل فريقاً من زملائه «شعراء الشباب»: هل حسن أن أمضي في معالجة الشعر أو أنصرف عنه إلى غيره؟ فقالوا في لهجة مخلصه لا رياء فيها ولا نفاق: «كأنك لم تخلق لأن تكون شاعراً، ولعل استعدادك للعلم أقرب من استعدادك للشعر ولعل البلد ستنتفع بك كعالم أكثر من أن تستفيد منك كشاعر»⁽³⁾.

وأنا أنصح له في غير رياء ولا نفاق أن ينصرف عن الشعر إلى العلم والكتابة، لأنني أرى أنه سيكون له مستقبل علمي زاهر وحياء كتابية مزدهرة، أما ما ذكر في الكتاب من شعره فلا يدل على شيء من التوفيق في صناعة الشعر؛ لأن الروح الشعرية التي تنير لنفس الشاعر مسالك

(1) أي في عام 1930 عام صدور كتاب القباج وكتابة (سمر الشابي) عنه.

(2) واضح أن الشابي إنما ينقل هذه المعلومات من كتاب القباج.

(3) قد كان فعلاً - كما توهم الشابي - من كبار علماء المغرب الأقصى، ومن كبار المجاهدين عن حرية المغرب واستقلاله ووحدته الترابية، وقد أصبح (عام 1989) رئيس جمعية علماء المغرب خلفاً للمرحوم عبدالله كنون وهو أيضاً صهره (متزوج بأخت الشيخ كنون) وقد كان حاضراً ورئيساً للجلسة العلمية في ذكرى المرحوم كنون وسمع قول الشابي عنه وتلقاه بابتسامته الكريمة ومكارمه العالية. وعلمت أنه لم يترك الشعر. ولكنه من تأملاته الروحية وخصوصياته الأدبية. توفي ربيع 1994 عليه رحمة الله.

(* ما بين القوسين مشطب عليه في الأصل.

المجهول بمشعلها الجميل لم يكن له بها أدنى اتصال .
أما بقية الشعراء في هذا الجزء فلا أريد أن أحدثكم عنهم بشيء
لأنني لا أجد فيهم ما يلفت النظر أو يثير الشعور، زيادة على ما في
شعرهم من مآخذ لغوية ونحوية وعروضية⁽¹⁾.

(1) لمزيد المراجعة والتدقيق أثبتنا كامل نص الشابي بخطه في القسم الموالي .

مَلاحِقُ

- المحاضرة بخط الشابي
- يوميتان للشابي
- مدينة فاس "صورة"
- شعراء المغرب "صور 1929"

نَصُّ الْمَحَاضِرَةِ بِخَطِّ الشَّابِي

الجزء الثاني من الكتاب - هذا الجزء الذي لا ~~يعني~~ بعض
 كما بنينا - التسمية واحلامه . هذا الجزء الذي يثنى لنا
 الحياة المغربية الحاضرة بالآ من طابع وأمان ورفاهية
 وسوا ذلك . هذا الجزء الذي لم يفرق ~~أشعار~~ أشعار القضاة المغربيين
 الصريح هو الذي أريد أن أتكلّم عنه اللينة ما استطع
 لأنه أعمى السباب - واحلامه هي بعنوان حياة الشعوب
 وإذا لم يكن يدرستنا لشعراء ~~الكتاب~~ السباب - المغربي
 سنكون قد أخذنا صورة صادقة - أو قريبة من الهدف -
 من الحياة المغربية الحاضرة
~~ماذا وجدنا في كتاب الكتاب؟ وما أهميته في~~
~~كتاب فصائل السباب - التسمية المغربية؟~~

حركات قلبية مستهزئة ~~تضطر~~ الأولى تناول أن
 تجد في وسرنا تحت نور الشمس . وحياته تجيش بها
 فلوب - السباب - المغربي الطامح إلى الجبه والعلامة
 وانواع من الحياة التي تتورق على ما بالمغرب - الأفضى
 من الحفوس وعادات لا يبر تغربك الدين ولا يفرج
 العقل القليل . ونفوس دائبة على الدعوة إلى الصلوة
 المضرب بلادك من نواحيك الدينية والاجتماعية . وهي
 في دموع تلك نارة تكون مندفعه عنيفة
 نارية وأخرى لها دية لينة ساكنة واحيانا

W
 الدور المشوَّب الالهي الذي نشأ فيه ^{واحد} والحيوانية
 هي فطرية صفت بين غائب ^{واحد} أو لا تترك على نفس مجردة فكانت
 فطرية واحدة في التعلية والشاعر والعواطف ^{واحد} وتوحيها
 أيضا ما فتسا بمرية ونفا رية الفاطحة والبراءة
 ما زاد حاد رية من وتر واحد في فينا رية واحدة ^{واحد} ولعلنا
 تكون افتر - الى الصواب ^{واحد} عنى لغزول انك انشودة
 واحدة ^{واحد} فطر ^{واحد} وتنظا ^{واحد} ول احيا ^{واحد} وكفزي
 في الى التي حاد ^{واحد} من حجرة واحدة ^{واحد} فهي
 لا تترك عواطف شعوب ^{واحد} بله ^{واحد} وطاقة ^{واحد} ورعبا ^{واحد}
 وله فلذاته ز شرواته وله لطبيته الجيلة التي
 كوعى الى فلوب ما شرعية ^{واحد} وثو فط ^{واحد} بين ^{واحد} انفسه
 ما ترفط من تسنى العواطف والحوال ^{واحد} وهي لا تصف
 صياة ^{واحد} باسرك ^{واحد} في بينك البر والعاج ^{واحد} ثم والظاهر
 والطول الالعب ^{واحد} بينا ^{واحد} افضا ^{واحد} نأف ^{واحد} والفاة ^{واحد} الحاة
 بين موعيا ^{واحد} الحب ^{واحد} راضوا ^{واحد} وبيك ^{واحد} التسا ^{واحد} - المشوَّب
 بعزم ^{واحد} الحياء ^{واحد} والليل ^{واحد} المشغل ^{واحد} بتاع ^{واحد} العيش ^{واحد} وتكاتب
 والشيخ ^{واحد} الذي هدفت ^{واحد} فواء ^{واحد} الثياح ^{واحد} ما جمع ^{واحد} بر ^{واحد} صفة ^{واحد} بالية
 ترعد ^{واحد} في ^{واحد} تساء ^{واحد} الحياء ^{واحد} ~~من~~ ^{واحد} منتطرة ^{واحد} نون
 الرعا ^{واحد} عفة ^{واحد} والنفشاع ^{واحد} الغيوم ^{واحد} ^{واحد} ويرك ^{واحد} الشاعر ^{واحد} التا
 في ^{واحد} لسمع ^{واحد} الوجود ^{واحد} ومطلد ^{واحد} ^{واحد} اياح ^{واحد} النفثي ^{واحد} بعثنة
 الحياء ^{واحد} ووجان ^{واحد} الربيع ^{واحد} الساب ^{واحد} مع ^{واحد} الا ^{واحد} نشا ^{واحد} نية ^{واحد} التا ^{واحد} رة ^{واحد}
 مع ^{واحد} ^{واحد} اياح ^{واحد} والصور ^{واحد} العاكف ^{واحد} في ^{واحد} صومعة ^{واحد} بتا ^{واحد} ابي
 النيرة

حاجي ربه بنفس بصدر الخوف و يكر في الرضا و
 من هذه الصور الحية الدنيا لانه لا تعني ^{بما فيها} قطع
 هذا الكنا ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 التي ^{لناحية واحدة} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 متواصل الى الاصل ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 المغرب الاقصى في ضمن لحظة وان
~~وما الذي ياتي~~ ^{فد صبغ} ~~وما الذي ياتي~~ ^{فد صبغ} ~~وما الذي ياتي~~ ^{فد صبغ} ~~وما الذي ياتي~~ ^{فد صبغ}
 المتشابهة ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 اهو الشعب الزلزال ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 وليس فيه من صور الحياة ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 في الحوض ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 من صنون الكلدان ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 اخبره اثاره الفعال ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 لداخل غافل ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 ليس من الصور ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 كافل ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 التي ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 الحيا لم تزل ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 والنج والسيان ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 تسباب قوي ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 را لشر باشعة الشمس ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 وهناك سبب آخر ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~
 مصدر الاسباب ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~ ^{و انما هي صور} ~~و انما هي صور~~~~~~

وفكر ان يعرفه

وما ساء به في الضوح الا عفو لهم

ولقد هم ان العاصي كوهيب

ولقد اراه تحت العاصي حاجته

حبا هي الا ان يدوم المهراب

بلوت بني امي سنين عمريه

ما لفت ان انشا للحر افراب

ولكن ابر انشا فيهم موله

وان ظن انشا هو محب

فحبه الآباء عن كل حكمة

وتنص عن كل ما في يده

عيا فوكس في هائه انه باجته انما صفة و اسلوب

الر صين؟ ~~فوق~~ اما المواضع التي يكرر السبه على ان

بند الاسلوب الجيد هي عيش الله الوافي مع التي يكرر غير

من شعراء بلاوه النبي ربا فموا عن السحاب ~~فوق~~ بل رحمة

الصا دفة على ~~فوق~~ قول في بعض شعراء

اشعر اروع في البؤا كرمية

بوم ابرك اسون ما يصب

له نبد في شعراء ما و حاه ايه هذا الكون الكبير !!

وهناك ثلاثة شعراء اخرين قد يصب اسلوبهم اشعر

له لهم اعبه ما براعه و لادرو عته و جلاله و لكنه لانه ناع

عن تلك المزايا النبوية والعرو حيه و النبوية التي وفقت

جزء أساليب الشعر آء الأخرى. هؤلاء الثلاثة هم السيد
 محمد الغزالي والسيد عبد الله بنون والسيد محمد النجار السوني
 فيقول السيد محمد الغزالي من فطنته عنواناً ودهالفة في...
 زاد في الرطب بله وعبداً.
 من على الجهد والظلال قفا
~~تلك الحف للعباء جيدي~~
 مع بناء له ليد منه عتدا
 ما على الحف فرحيتي للذي
 ظل فوج جود ~~حسدا~~
~~ابن طابن الحف لينا~~
~~ابن ما ابي الحف لينا~~
 وهم تكلمهم و... السيد
 هم بغيرهم ما انا ضوا واسباب نور الشادا
 الدين والعلم ~~والسبب وال...~~
 جاذا ما عوا عن الحف بادوا
 والجلوا تنانج وجرادي
 ويقولون من...
 علم ابا هده انهم في الجهد
 ما يطبونه من ازيدوا
 في رطبنا انا فضلنا لهم من فضل ان يغيبوا علينا الم...
 وان شفا بوا حله في الجهد جهم والى الجهد اخذوا ~~الخط~~

وجدوا فيه راحة بما تشكوا نوانه واستوطنوه فقامت اعداء
انما اجله لا يلبث اهل به بما يتعب العفول الجدا وا
لا يدونون عنه من سؤال في امور رعيه ابليغ الخداد
عربوا ^{الاشيا} عن قبا على ما نطقون سرهم فبعوا المراد ا
قتل من كان في المشام ^{راعي} وفيه ملذات فاستطاعوا ان
رأه في الشوحاة في حياثا فطرب الزهر وهو ينجي القفا
ما سئل المشام لم يبلغ ان ينفذ عوض من ثوبه الله ما دا
صوب ان تذهب المذمة عنه ثم لا يفي بعد كما انوسا دا
بفتح الصبي ثم يفتخر مكنه نوع وما المشام ارا دا
بموسى في ثنا وماء و يفتخر وجهه كمن يرى ارضيا سودا
ليعود الرضا رليلا قبا ثبه روى قلرك تسر البوادا
بالقومي محسوا عن الجرد الالعب وانسبو بلوا به كما اراد ا
ونودوا عن كرمه الواعظ الادلح من جهله ففضلوا المراد ا
ما كبا هم جهل الرجال من ادوا له جهل التسلط والابطدا
تصلر السنت ما تعلقه الابن ودرج الا سلع ابد احمادا
عاز لا تصلر العلم وانما لكم فذا يقتر الالهادا
ويقتا القبا جاهلة عا عليكم لا ينفق الا با دا
ابن دين آبي بحر مازك منه قللتكم لا تعرفون السهلا
اخ الفضية
ونقول السيد محمد عبد الله جنون من نصيبه دسباي وعريته
اما دسباي من العلف فسا برا له في امر آبي المراهة والظير

أنا عرض في صفحية الشعر أو انظر و عنده الى فتره في منا سوا
 في راجية فخلصه لا ربا دبيرك ولا نفاقا : سياتك ثم تخلفه لا تن
 تكون شاعر او و لعل استعدادك للعلم افرح من الشعراء
 الشعر و لعل البلد يستنفع بك كعالم اكبر من ان تستعيد فنت
 كشاعر و انا انزع له في علم ربا و ولد نفاقا ان ينصرف عن
 الشعر الى العلم و الكشافة لا تنى ارى انه سيكون له مستقبل
 في العلم و علمي راجح و صياحه تشابه من قهرته ~~بما ذكر~~ ما ذكر
 في الكتاب من سفره بله بل على تنى و من التوفيق بين ضاعة
 الشعر لان الروح الشعرية التي تثير تنفس اشاع مسالك ~~العلم~~
 في شعر الجليل و كان ~~حظا~~ ~~بما ذكر~~ لم يكن له اذن ان
 اما بقية الشعر ارجو هذا الجواد جلا اهد ان اعدتم عنهم
 نسي لا تنى لا اعدت القليل انظر او نسي الشعور زيا و على
 ما في شعر من ما أخذ لثوية و غروب و غروب و غروب

يوميتان من يوميات الشابي

تحقيق كمال عمران

الإثنين 13 جانفي 1930

50 - ذهبت أنا والأخ زين العابدين والأخ مصطفى خريف⁽¹⁾ مساء اليوم إلى النادي الأدبي لإلقاء محاضرتي عن كتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى» الذي طلب مني النادي الأدبي أن أبسط لهم رأيي فيه. ولكننا لم نجد أحداً هناك. فجلسنا وأخذ الأخ زين العابدين يتلو علينا أقصوصة الحبيبة أو أحدوثة الحبيبة كما يريد أن يسميها الأخ عثمان الكعاك⁽²⁾، لأنه يرى كلمة أحدوثة أدق ترجمة لكلمة «نوفيل» الفرنسية.

وأحدوثة الحبيبة هاته قصّة صغرى كتبها الأخ زين العابدين بمشاركة شخص أسمى أن يسميه، وأعدّها للعدد الثاني من مجلة «العالم» وهي قصّة تونسيّة حاول أن يمثّل فيها بعض العادات التونسيّة، وصور فيها بعض الأوهام الخرافيّة التي تستحوذ على عقول العذارى الشابات.

(1) مصطفى خريف (1910 - 1967) من الشعراء المعاصرين للشابّي، كان له دور في الحركة الأدبية إلى مماته. من دواوينه «الشعاع»، «شوق وذوق».

(2) عثمان الكعاك (1903 - 1976) من رجالات التاريخ والثقافة من مؤلفاته «تاريخ الجزائر» - «الفلكلور التونسي» - «البربر».

واستعمل فيها طائفة من التعابير التونسية الخالصة التي لم تألفها العربية ولكنها لا تأبأها قواعدها. وفي أثناء تلاوة الأحذوثة أقبل الأخ المهدي⁽¹⁾ ورفيق له. وبعدهما أقبل الأديب أبو الحسن بن شعبان⁽²⁾، وكانت الأحذوثة موشكة على الانتهاء. وظل الأخ زين العابدين يتلوها إلى أن انتهت في هاته الجملة: وظلت أُمي حلّومة تشمّر عن ساعديها وتضحك إلى أذنيها؟

51- وعلى إثرها دار الحديث حول الروايات الشعبية والأدب المحلي وكان مؤجّج هذا الحديث هو الأخ زين العابدين الذي كان يقول: «إن الروايات الشعبية والأدب المحلي - كما أنها يجب أن تمثل حياة الشعب بما فيها من عادات وطباع وأخلاق ومميزات - فإنها يجب أن تشمل على كثير من تعابيره الفنية الدقيقة، وتراكيبه ومعانيه التي يستعملها في مخاطباته، لأن هاته أهم ناحية حيّة من نواحي الحياة الشعبية، ففيها تبدو صوراً صادقة من نفسية الشعب التي تنم عنها فلتات قوله والتفاتاته ذهنه».

52- فقلت: إنني أقرّك على رأيك هذا، ولكن على شرط أن يتسقل الأديب «للتحصيل على هاته الغاية» إلى أن يمزج أسلوبه العربي بالأسلوب العامي المحرّف. كما يفعل بعض

(1) محمد صالح المهدي (1902 - 1969) انظر: محفوظ تراجم المؤلفين التونسيين 4/ 410.

(2) ابو الحسن بن شعبان (1897 - 1963) انظر: محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين 3/ 198.

المصريين اليوم، فإن مثل هاته الطريقة السيئة لقاضية على الأدب العربي الجميل، وماسخته إلى نوع من الأدب هجين، لا هو بالعربي البليغ ولا هو بالعامي الصميم، وإنما هو مسخ بين الإثنين. وإنما على الأديب الشعبي الذي يريد أن يكون موفقاً أن يخضع اللغة العربية وأساليبها لاحتمال المعاني الشعبية التي تحمل طابع الشعب وميسمه. وبذلك تكون اللغة قد اكتسبت ثروة معنوية طارفة تضيفها إلى ما لها من كنز تليد. أو أن يُدخل تعابير شعبية في اللغة العربية، على شرط أن لا تُخل بروح العربية، ولا بقواعدها الأصلية. وبذلك يكون الأديب مخلصاً للغة العربية، ومخلصاً لفنّه التزيه⁽¹⁾.

53 - فقال الأخ الزين: نعم إنها لفكرة قيمة. وهذا ما حاولت أنا اتباعه في أحذوثة «الحبيبة». فإن كلمة «ضحكت لأذنيها» كلمة محلية محضة لا تعرفها العربية من قبل، ولكنها مع ذلك لا تنافي شيئاً من ضوابط اللغة، زيادة عما فيها من دقة التصوير لمعنى الضحك والإغراق فيه. ولا أعرف في العربية تعبيراً يضاهي هذا في دقة التصوير لمعنى الإغراب في الضحك، إلا أنني أعرف في الفرنسية تعبيراً قريباً من تعبيرنا في هاته الدقة إلا أنه دونه. وهو قولهم: «ضحك حتى أفتس أنفه».

فقال الأخ ابراهيم بورقعة⁽²⁾: «إن العرب يقولون

(1) انظر موقف الشابي: «الشعر والشاعر عندنا» ضمن كتاب أبي القاسم محمد كرو، آثار الشابي ص 141.

(2) إبراهيم بورقعة (1905 - 1982) رجل قانون ورجل ثقافة وهو من =

ضحك ملء شديقه» وهو تعبير غير ظاهر المعنى، لأن الضاحك لا يمتلىء شدقاه.

فأجابه أبو الحسن بن شعبان بأن كيفية الضحك تختلف باختلاف الوجوه والأشكال. وظاهرته أنا على ذلك.

والذي يبدو لي الآن أن العرب لا يعنون بامتلاء الشدقين «انتفاخهما وإنما يريدون امتلاء الفم بصوت القهقهة كناية عن قوة الضحك ثم قلت لهم: «إن العرب يقولون ضحك حتى بدت نواجذه» وهو تعبير قريب المعنى من تعبيرنا، لأن النواجذ قريبة من الآذان. وإذا انتفخ الفم من الضحك حتى بدت النواجذ فقد قرب من الآذان».

54- ثم انتقل الحديث إلى الأدب العامي، فقال زين العابدين: «إن في أدبنا العامي دقة في التعبير، وجمالاً في التصوير، وسعة في الخيال، بصورة توجب الإعجاب الكبير. أذكر أنني طالعت مرة أنا وأبو القاسم قطعة من هذا الفن، يصف فيها صاحبها البرق، فأعجبنا بها إعجاباً كبيراً إذ أنه قد عبر عنه بأبرع مما عبرت عنه ألفاظ شاعر، وأبدع مما صورته نفس فنّان».

55- فقال أبو رقعة: إنني أعتقد أن الأدب العامي بتونس أبلغ من الأدب العربي بها، وذلك لأن أدباء العربية بها تقيدهم كثير من التقاليد اللغوية والأغلال الشعرية التي توجب

= أصدقاء الشابي.

عليهم احتذاء من تقدمهم من الشعراء، زيادة عن أنهم يكتبون بلغة ليست لغتهم، بخلاف من كانوا من قادة الأدب العامي، فإنهم بعيدون عن مثل ما يتقيد به الأديب العربي بتونس. ولذلك يكون من الفرق بين أدب هذا وذاك ما بين أدب الطبع وأدب التقليد.

وأنا أعرف واحداً من هؤلاء الذين يتملؤون بروح الشعب ولغته من يعمد إلى القطعة من الأدب العامي ينقدها نقداً فنياً صحيحاً دقيقاً لو كسي الأسلوب العربي لكان خير أمثلة النقد الأدبي، إذ فيه تتجلى سلامة الطبع، ودقة الحاسة الفنية.

الإثنين 20 جانفي 1930

63 - . . . وبعد أن أنهيت أعمالى الإدارية نحو الساعة الخامسة، ذهبت أنا والأخ المهدي إلى مطبعة الأخ زين العابدين. فألفيناه يصفف حروف «العالم» مع المصنفين. وألفينا الأخ مصطفى خريف واقفاً بجواره، يطالع بعض الشيء. وبعد حديث مختلف أراني الأخ زين العابدين مقالتي «الشعر، ماذا يجب أن يفهم منه وما هو مقياسه الصحيح؟». ثم لاحظ لي أنه يخالفني في بعض ما ورد بالمقال من الآراء، وأنه كان يودّ لو قابلني قبل طبعه ليعرض عليّ رأيه، عسى أن يدخل به تعديل على المقال. ثم قال: «ولكن وجود بعض ما يخالف آرائى لا يمنعني من نشره، إذ أنّ مسؤولية ما فيه من الأفكار محمولة عليك وحدك». فأجبتة بالإيجاب. ثمّ أبنت له أن ما يلاحظه على المقال، ويود وجوده في المقال، هو موجود فيه وأردت أن أريه إيّاه، فلم أتمكّن من ذلك لكثرة أعماله ووفرة حركاته. ثم قال لي: إنك تريد أن تبعث المذهب الرمزي «سانبوليزم» من مرقده، وهو مذهب قضى عليه الزمن، ولم يتبعه في فرنسا إلا شاعران أو ثلاثة. فقلت له: «لك أن تسمي طريقي بأيّ الأسماء التي تشاء، فأنا لا أعرف كيف أسمي، ولا يهمني

معرفة أسمائها. وسواء عليّ أكانت تسميتها كما قلت أم خلافاً له. وإنّما الذي يهمني والذي أودّ أن تعرفه، هو أن أدعو إلى الطريقة التي تسكن إليها نفسي، ويرتضيها ضميري ما استطعت إلى الدعوة سيلاً»⁽¹⁾.

64 - وبعد ذلك أطلعني على مقال للسيد التيجاني بن سالم⁽²⁾ عنوانه: «التجدد الأدبي عندنا». وهو مقال قيّم مفيد أعجبت به، وإن كنت لم آخذ منه إلا صورة مجملّة. وبعد قليل اصطحبت الأخ المهدي والأخ خريف بعد أن اعتذر الأخ الزين عن الذهاب معنا إلى النادي الأدبي بتراكم الأعمال عليه.

ولما وصلنا إليه ألفيناه مُغلّقاً، مع أنّ موعد الاجتماع قد مرّ عليه نحو العشرة دقائق. وبعد أن قرعت الباب قرعاً عنيفاً بدون جدوى، رجعنا وفي أنفسنا حسرة وأسى على المشاريع التونسية المسكينة التي لا تجد من أبناء تونس من يخلص لها حتى النهاية.

فقد حاولنا في العام المنصرم أن ننظّم سيره ببرنامج

(1) يعلن الشابي في هذه الفقرة عن موقف نقدي يكشف عن غوص لاف في عالم الإبداع، فهو أديب ينشئ إنشاءً وحسبه أن يخلق خلقاً وحسب النقاد أن ينقدوا. الأدب عند الشابي يقترن بصدق العبارة وبصدق التجربة قبل كل شيء.

(2) التيجاني بن سالم من رجال الأدب الذين نشطوا نشاطاً مذكوراً، ذكر له محمد فريد غازي بعض أعماله انظر: Mohamed Ferid Ghazi le roman et la nouvelle en Tunisie p 16

معين عيناه رغم المعارضة الكبيرة من أنصار الأساليب القديمة، فأنتج نتاجاً حسناً كان فوق ما يؤمل منه. ثم قامت ضجة «الأب سلام»⁽¹⁾ إثر مسامرة امرئ القيس التي أنكر فيها الأخ المهدي وجود امرئ القيس⁽²⁾، «ومسامرة الخيال الشعري عند العرب» التي جاهرت فيها بآراء لم تُسغها أفكارٌ بعض أذعياء الأدب، وعدّوها ثورة على الآداب العربية وجحوداً لمزايا العرب. وتطوّرت هاته الفكرة في نفس الناس، والتفت حولها الأراجيف والإشاعات الكاذبة، حتى عدّها بعض الجهلة زندقة وكفراً⁽³⁾

(1) الأب يوسف ابراهيم سلام ولد في الإسكندرية من أسرة مسلمة يوم 30 أكتوبر 1877 تلقى التعليم الأولي عن الآباء البيض بالإسكندرية، هرب من مسقط رأسه بعد أن تنصّر وهو في سن 18 حطّ الرحال بالجزائر ثم بجزيرة جربة (تونس) ثم انتقل إلى روما حيث درس الفلسفة ودرس اللاهوت بقرطاج. أرسل إلى أوغندا لتدريس اللغة اللاتينية. ارتقى إلى رتبة قسّ سنة 1907 اقام ثانية بالجزائر 1925 ثم قضى سنة ببيت المقدس ليعود إلى تونس ويقوم بقرطاج (بوخريص) وبهذا الموضوع نشأ معهد الآباء البيض وقد كانت للأب سلام علاقة مع عدد غير قليل من التونسيين وقد نهل من العلوم الإسلامية على يد شيخ زيتوني وأسهم بصفة لافتة في الحركة الفكرية بالبلاد التونسية وأثر عنه اختصاص في فكر ديكرات والمحاورة التي أشار إليها الشابي في هذه المذكرة تتعلق بالطريقة الكارتريانية عند طه حسين. توفي الأب سلام يوم 27 أوت سنة 1947 بالجزائر.

(2) لا يخفى في هذا الموقف الصدى الذي وجدته موقف طه حسين من الشعر الجاهلي.

(3) اللافت في هذه الفقرة معجم الشابي وهو أقرب إلى تأسيس النظرة =

قامت تلك الضجّة⁽¹⁾ حول المسامرات الثلاثة وحول مسامرة «سلام» بالأخص، فاهتبلها بعضُ المغرضين فرصة لتشويه سمعة النادي ورميه بالزيف والإلحاد إلى آخر تلك السهام التي تعلّم المفسدون تسديدها إلى كلّ عمل راموا إحباطه في البلاد الإسلاميّة. فكانت تلك الحملات الكبيرة المنظّمة قاضية على حركات النادي قضاء ما كنت أتصوّره. فقد فتّت تلك الحملات في أعضاد الأكثرية من أعضائه، ورمت في قلوبهم الرعب والهلع والجبن، فانقطعوا عن المجيء إليه إلا واحداً أو اثنين كانت لهما عزيمة صادقة، وشجاعة أدبيّة تحتقر صيحات الحروب وتهزأ بسهام المغرضين. ولكنّهما أعرضا عن الذهاب إليه. وما الفائدة منهما وكل أعضائه غائبون!؟

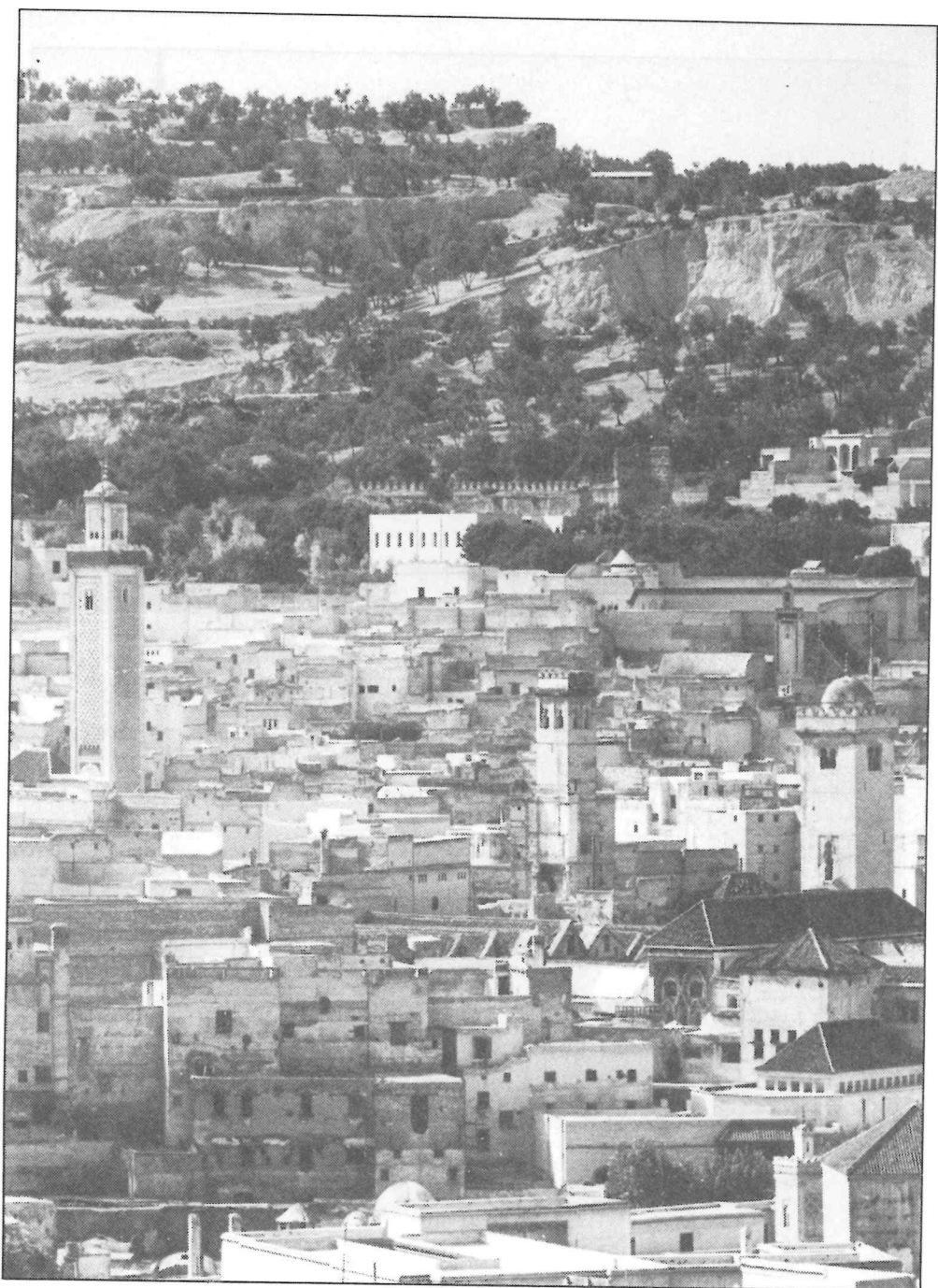
65 - وهكذا كانت خاتمة العام الماضي محزنة كابية. ثم جاءت السنة الحالية فاقترح الأخ عثمان الكعك أن تكون طريقة النادي إنما هي إثارة المواضيع لدراستها، ومن كانت له دراسة عرضها على النادي لتلقى مسامرة عامّة أيام الجُمع. وقرّرت الأغلبية هذا ولكن لم يمض على الاتفاق شهر ونصف قام خلالها كلُّ منّي والأخ عثمان الكعك بمحاضرة: واحدةٌ منهما تعرّضت لنقد كتاب «الأدب العربي في المغرب الأقصى»، والأخرى تعرّضت لطريقة البحث

= العلمية المشبعة بروح النقد المعرّضة عن السباب والأسفاف.
(1) انظر ما يقوله أبو القاسم محمد كرو: آثار الشابي وصداه في الشرق ص 13 و ص 21 - 23.

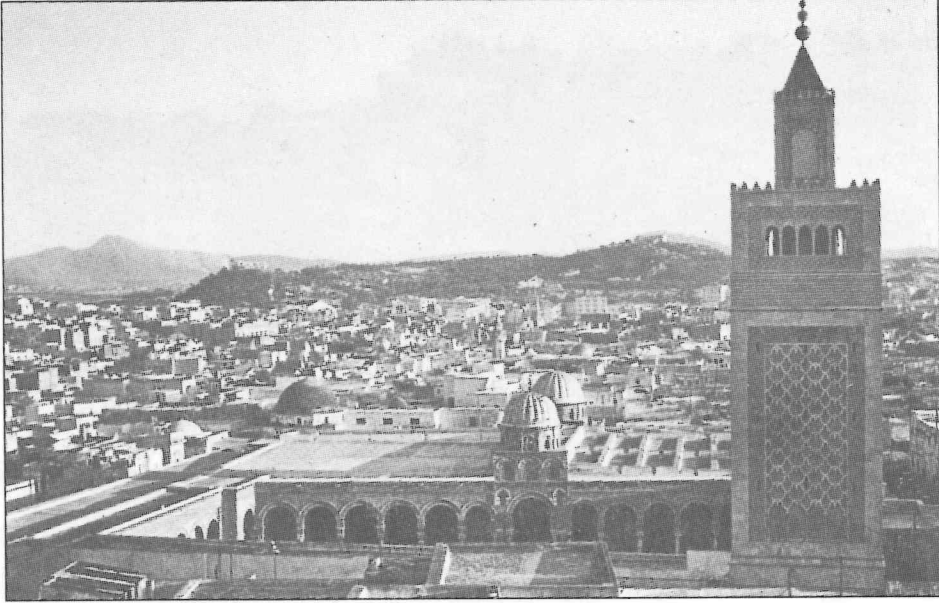
في الثقافة الشرقية عند المشرقيين⁽¹⁾ وعند المسلمين في الوقت الحاضر. وقد أغضبت كلُّ منهما طائفة من الناس. أقول لم يمض على فتح النادي شهر ونصف حتى أخذت علائم الهرم تدبّ فيه. وبدأ الانحلال يأخذ منه. وتلك هي مصيبة المشاريع التونسية، يندفع القائمون بها في العمل اندفاعاً كلّ شغف وشوق وإخلاص، ولكنّه لا يدوم. فإنّه لا يلبث إلا قليلاً حتى يخبو أواره، وتركذ ريحه، وينصدع شمل الجميع. تلك هي مصيبة المشاريع التونسية⁽²⁾.

(1) لعل الصواب «عند المشرقين».

(2) ردّد الشابي هذا الموقف في رسائله: رسائل الشابي ص 62 - 63.



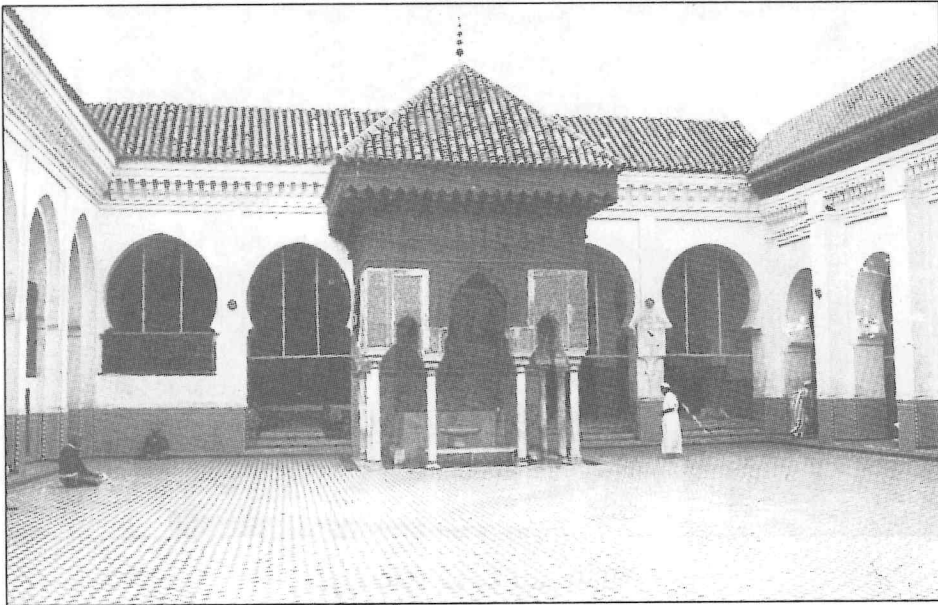
صورة نادرة لمدينة فاس 1930



1 - جامع الزيتونة (تونس)

2 - جامع القرويين (فاس)

المعلمان التوأمان المغاربيان





محمد بن العباس القباج
مؤلف: كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى 1929

الأدب العربي في المغرب الأقصى

تصنيف

محمد بن العباس القناب

﴿ الجزء الأول والثاني ﴾



الشاعر الشاب محمد علال الفاسي عام 1929



الشاعر الشاب عبدالله كنون عام 1929



الشاعر الشاب في 1929 محمد المكي الناصري



الشاعر الشاب عبد الرحمن حجي عام 1929



الشاعر الشاب محمد القرّي عام 1929

أشرفت على تنفيذه:



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب الممسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340132 - 340131 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL- GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113- 5787 - Beyrouth - Liban

التوزيع الطابع
مؤسسة دار الريفايت للطباعة والنشر
م.ب. ١٣/٥٣٧٨ - تلخس LE - RIDCO 41127 LE - FBAN 20507 LE
تلفون : ١/٤٢/٣ - ٨١٨٣٨ - بيروت - لبنان

